

## تفسير سورة الكهف

روى الإمام أحمد: قرأ رجل الكهف، وفي الدار دابة، فجعلت تنفر، فنظر، فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيت، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «اقرأ فلان، فإنها السكينة تنزل عند القرآن، أو تنزلت للقرآن» أخرجاه في الصحيحين. وهذا الرجل الذي كان يتلوها هو أسيد بن الحضير رضي الله عنه. وفي الحديث: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال» رواه مسلم. وفيه: «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال» رواه مسلم. وفي الحديث: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعتين» أخرجه الحاكم وقال: حديث صحيح الإسناد.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَمْ عِوَجًا ۝۱﴾ .

﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَمْ عِوَجًا﴾ أي لم يجعل فيه اعوجاجاً ولا زيغاً ولا ميلاً، بل جعله معتدلاً مستقيماً يهدي إلى صراط مستقيم.

﴿فَيَمَّا يَنْذِرُ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا

حَسَنًا ۝۲﴾ .

﴿فَيَمَّا﴾ أي مستقيماً ﴿يَنْذِرُ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ أي لمن خالفه وكذبه ولم يؤمن به ينذره بَأْسًا شديداً عقوبة عاجلة في الدنيا وأجلة في الآخرة ﴿وَمِن لَّدُنْهُ﴾ أي من عند الله الذي لا يعذب عذابه أحد، ولا يوثق وثاقه أحد ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي بهذا القرآن الذين صدقوا إيمانهم بالعمل الصالح ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ أي مثوبة عند الله جميلة.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝۳﴾ .

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهِ﴾ أي في ثوابهم عند الله، وهو الجنة خالدين فيها ﴿أَبَدًا﴾ دائماً لا زوال له ولا انقضاء.

﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝۴﴾ .

﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ وهم مشركو العرب في قولهم: نحن نعبد الملائكة، وهم بنات الله.

﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ .  
 ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أي بهذا القول الذي افتروه واتفكوه ﴿ وَلَا لِآبَائِهِمْ ﴾ أي لأسلافهم ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً ﴾ نصب على التمييز، تقديره: كبرت كلمتهم هذه، وقيل: على التعجب، تقديره: أعظم بكلمتهم كلمة، كما تقول: أكرم يزيد رجلاً ﴿ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ أي ليس لها مستند سوى قولهم، ولا دليل لهم عليها إلا كذبهم وافتراؤهم. ولهذا قال: ﴿ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ .

﴿ فَلَمَّا كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ .

يقول تعالى مسلماً لرسوله صلوات الله وسلامه عليه في حزنه على المشركين لتركهم الإيمان وبعدهم عنه كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ ﴾ [فاطر: 8] وقال: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الحجر: 88] وقال: ﴿ لَمَّا كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الشعراء: 3] باخع نفسك أي مهلك نفسك بحزنك عليهم ولهذا قال: ﴿ فَلَمَّا كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ يعني القرآن ﴿ أَسْفًا ﴾ يقول: لا تهلك نفسك أسفًا، والمعنى لا تأسف عليهم، بل أبلغهم رسالة الله، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها.

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ .

ثم أخبر تعالى أنه جعل الدنيا داراً فانية، مزينة بزينة زائلة، وإنما جعلها دار اختبار، لا دار قرار فقال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء».

﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ .

ثم أخبر تعالى بزوالها وفنائها و فراغها وانقضائها وذهابها و خرابها فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ أي وإنما لمصيرها بعد الزينة إلى الخراب والدمار فنجعل كل شيء عليها هالكاً صعيداً جرزاً، لا يثبت ولا يتفجع به. قال مجاهد: صعيداً جرزاً: بلقماً. وقال قتادة: الصعيد الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات.

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيِّمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ .

هذا إخبار من الله تعالى عن قصة أصحاب الكهف على سبيل الإجمال والاختصار، ثم بسطها بعد ذلك فقال: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾ يعني يا محمد ﴿ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيِّمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ أي ليس أمرهم عجباً في قدرتنا وسلطاننا فإن خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى، وأنه على ما يشاء قادر، ولا يعجزه شيء أعجب من أخبار أصحاب الكهف، إذ أن من آياتنا ما هو أعجب من

ذلك . والكهف: الغار في الجبل، وهو الذي لجأ إليه هؤلاء الفتية، والرقيم هو واد قريب من أيلة، أو هو اسم الوادي، أو كتاب بنيانهم، أو هو الوادي الذي فيه كهفهم، أو القرية، أو الكتاب، أو هو لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف، ثم وضعوه على باب الكهف. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الرقيم: الكتاب، ثم قرأ ﴿كُنِبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: 9]. وهذا هو الظاهر من الآية، وهو اختيار ابن جرير.

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدًا﴾.

يخبر تعالى عن أولئك الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم لثلا يفتنوهم عنه فهربوا منهم فلاجأوا إلى غار في جبل ليخفوا عن قومهم، فقالوا حين دخلوا سائلين رحمة الله ولطفه بهم ﴿رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أي هب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها، وتسترنا عن قومنا ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أي وقدّر لنا من أمرنا هذا رشداً، أي اجعل عاقبتنا رشداً، وفي الحديث: «اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة».

﴿فَضْرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِم فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾.

أي ألقينا عليهم النوم حين دخلوا إلى الكهف فناموا سنين كثيرة.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَهُم بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمْدًا﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَهُم﴾ أي من رقدتهم تلك، وخرج أحدهم بدرهم معه ليشتري لهم بها طعاماً يأكلونه. ﴿أَيُّ الْغُرَبَاءِ﴾ أي المختلفين فيهم ﴿لِمَا لَبِثُوا أَمْدًا﴾ قيل: عدداً، وقيل: غاية، فإن الأمد الغاية.

﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾.

من ههنا شرع في بسط القصة وشرحها فذكر تعالى أنهم فتية، وهم الشباب، وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله ﷺ شباباً، وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل وقوله: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ استدل بهذه الآية وأمثالها غير واحد من الأئمة كالبخاري وغيره ممن ذهب إلى زيادة الإيمان وتفاضله، وأنه يزيد وينقص.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾.

﴿لَن نَدْعُوهُ مِن دُونِهِ إِلَهًا﴾ «لن» لنفي التأييد، أي لا يقع هذا منا أبداً، لأننا لو فعلنا ذلك لكان باطلاً، ولهذا قال عنهم: ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ أي باطلاً وكذباً وهتافاً.

﴿هَؤُلَاءِ قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ﴿١٥﴾ .

﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ أي هلا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلاً واضحاً صحيحاً ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يقولون، بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك . فيقال: إن ملكهم لما دعوه إلى الإيمان بالله أبى عليهم وتهددهم وتوعدهم، وأجلهم لينظروا في أمرهم لعلهم يرجعون عن دينهم الذي كانوا عليه، وكان هذا من لطف الله بهم، فإنهم في تلك النظرة توصلوا إلى الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة، وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن في الناس أن يفر العبد خوفاً على دينه، كما جاء في الحديث: «يوشك أن يكون خير مال أحدكم غنماً يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن» ففي هذه الحال تشرع العزلة عن الناس، ولا تشرع فيما عداها، لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع .

﴿وَإِذِ اعْتَرَّتْهُمُومًا يَعْجُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ ﴿١٦﴾ .

﴿وَإِذِ اعْتَرَّتْهُمُومًا يَعْجُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ أي وإذا فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم في عبادتكم غير الله ففارقوهم أيضاً بأبدانكم ﴿فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي يبسط لكم رحمة يستركم بها من قومكم ﴿وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ﴾ الذي أنتم فيه ﴿مَرْفَقًا﴾ أي أمراً ترتفقون به، فعند ذلك خرجوا هراباً إلى الكهف، فأووا إليه ففقدتهم قومهم من بين أظهرهم، وتطلبهم الملك، فيقال إنه لم يظفر بهم، وعمى الله عليه خبرهم، كما فعل بنبيه محمد ﷺ وصاحبه الصديق حين لجأ إلى غار ثور، وجاء المشركون من قريش في الطلب، فلم يبتدوا إليه مع أنهم يمرون عليه، وعندها قال النبي ﷺ حين رأى جذع الصديق في قوله: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما»؟ . وقد قال الله ﴿إِلَّا نُنصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَابِتًا ثَابِتًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٤٠﴾ [التوبة: 40] فقصه هذا الغار أشرف وأجل وأعظم من قصة أصحاب الكهف .

﴿وَرَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَزَوُّرًا عَنْ كُهُوفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّ الْفَهْمَ وَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ وَايَاتًا مُرَشِدًا﴾ ﴿١٧﴾ .

فهذا فيه دليل على أن باب هذا الكهف كان من نحو الشمال، لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلته

عند طلوعها تزاور عنه ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ أي يتقلص الفيء يمناً. ﴿تَزَوَّرُ﴾ أي تميل، وذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق تقلص شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان، ولهذا قال: ﴿وَإِذَا غَرَبَتِ تَقَرَّضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ أي تدخل إلى غارهم من شمال بابه، وهو من ناحية المشرق، فدل على صحة ما قلناه، وهذا بين عن تأمله. ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي في متسع منه داخلاً بحيث لا تصيبهم، إذ لو أصابتهم لأحرقت أبدانهم وثيابهم. ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ حيث أرشدهم إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء، والشمس والريح تدخل عليهم فيه لتبقي أبدانهم. ولهذا قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ ثم قال: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ أي هو الذي أرشد هؤلاء الفتية إلى الهداية من بين قومهم، فإنه من هداه الله اهتدى، ومن أضله فلا هادي له.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيْكَافًا وَهُمْ رُفُودٌ وَنَقَلْبَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ (١٨).

ذكر بعض أهل العلم أنهم لما ضرب الله على آذانهم بالنوم لم تنطبق أعينهم، لئلا يسرع إليها البلى، فإذا بقيت ظاهرة للهواء كان أبقى لها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيْكَافًا وَهُمْ رُفُودٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَنَقَلْبَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ قال ابن عباس لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض. وقوله: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ بالوصيد: بالفناء، أو بالباب، أو بالصعيد وهو التراب، والصحيح أنه بالفناء، وهو الباب، ومنه قوله تعالى ﴿إِنهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ [الهمزة: 8] أي مطبقة مغلقة. قال ابن جرير: يحرس عليهم الباب، وهذا من سجيته وطبيعته حيث يربص ببابهم كأنه يحرسهم، وكان جلوسه خارج الباب لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب، كما ورد في الصحيح ولا صورة ولا جنب ولا كافر، كما ورد به الحديث الحسن. وشملت كلهم بركنتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال، وهذا فائدة صحيحة الأخيار، فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن. ﴿لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ أي أنه تعالى ألقى عليهم المهابة بحيث لا يقع بصر أحد عليهم إلا هابهم، لما ألبسوا من المهابة والذعر لئلا يدنو منهم أحد، ولا تمسهم يد لاس حتى يبلغ الكتاب أوجه، وتنقض رقدتهم التي شاء تبارك وتعالى فيهم، لما له في ذلك من الحكمة والحجة البالغة، والرحمة الواسعة.

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (١٩).

يقول تعالى: كما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبشارهم لم يفقدوا من أحوالهم وحياتهم شيئاً، وذلك بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين، ولهذا تساءلوا بينهم ﴿كَمْ لَبِئْتُمْ؟﴾ أي كم

رقدتم ﴿قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنه كان دخولهم إلى الكهف في أول نهار واستيقاظهم كان في آخر نهار، ولهذا استدركوا فقالوا: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسَ﴾ أي الله أعلم بأمركم ﴿فَتَابَعْتُمْ أَحَدَكُمْ بِوَبَرِّكُمْ﴾ أي فضتكم هذه ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ أي مدينتكم التي خرجتم منها ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ أي أطيب طعاماً، أو أكثر طعاماً. ﴿وَلْيَسْتَأْذِنْ﴾ أي في خروجه وذهابه وشرائه، وإيابه، يقولون: وليختف كل ما يقدر عليه. ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ﴾ أي ولا يعلمن ﴿بِكُمْ أَحَدًا﴾.

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبْكَدَا﴾ ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي إن علموا بمكانكم ﴿يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ يعنون أصحاب دقيانوس يخافون منهم أن يطلعوا على مكانكم فلا يزالون يعذبونهم بأنواع العذاب إلى أن يعيدوهم في ملتهم التي هم عليها، أو يموتوا، وإن وافقتموهم على العود في الدين، فلا فلاح لكم في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا قال: ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبْكَدَا﴾.

﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا أَتَيْنَا عَلَى اللَّهِ غَيْبًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لِنَتَّخِذَنَّ عَنْهُمْ مَسْجِدًا﴾

ذكر غير واحد من السلف أنه كان قد حصل لأهل ذلك الزمان شك في البعث، وفي أمر القيامة. قال عكرمة: كان منهم طائفة قد قالوا: تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك. وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ﴾ أي كما أرقدناهم وأيقظناهم ببياتهم أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ أي في أمر القيامة، فمن مثبت لها، ومن منكر، فجعل الله ظهورهم على أصحاب الكهف حجة لهم عليهم ﴿فَقَالُوا أَتَيْنَا عَلَى اللَّهِ غَيْبًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ أي سدوا عليهم باب الكهف، وذروهم على حالهم ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لِنَتَّخِذَنَّ عَنْهُمْ مَسْجِدًا﴾ أي قال ذلك: المسلمون منهم، أو أهل الشرك منهم والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ، ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر، لأن النبي ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصلحيتهم مساجد» يحذر ما فعلوا.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾

يقول تعالى مخبراً عن اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف فحكى ثلاثة أقوال، فدل على أنه لا

قائل برابع، ولما ضعف القولين الأولين بقوله: ﴿رَجَمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي قولاً بلا علم، كمن يرمي إلى مكان لا يعرفه، فإنه لا يكاد يصيب، وإن أصاب فبلا قصد، ثم حكى الثالث وسكت عليه، أو قرره بقوله: ﴿وَأَمَّا مِنْهُمْ كَلْبُومٌ﴾ فدل على صحته، وأنه هو الواقع في نفس الأمر. وقوله: ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ إرشاد إلى أن الأحسن في مثل هذا المقام رد العلم إلى الله تعالى، إذ لا احتياج إلى الخوض في مثل ذلك بلا علم، لكن إذ أطلعنا على أمر قلنا به، وإلا وقفنا. وقوله: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي من الناس. عن ابن عباس: أنا من القليل الذي استثنى الله عز وجل، كانوا سبعة. وقيل: إنهم ثمانية وهم ملسمينا وكان أكبرهم، ويمليخا ومرطونس، وكسطونس، وبيرونس، ودينموس، ويطبونس، وقالوش. وكلبهم اسمه قطمير أو حمران. والصحيح عن ابن عباس أنهم كانوا سبعة، وهو ظاهر الآية. وفي تسميتهم بهذه الأسماء، واسم كلبهم نظر في صحته. والله أعلم، فإن غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب، وقد قال تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ أي سهلاً لنا، فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي فإنهم لا علم لهم بذلك إلا ما يتولونه من تلقاء أنفسهم رجماً بالغيب، أي من غير استناد إلى كلام معصوم، وقد جاءك الله يا محمد بالحق الذي لا شك فيه، ولا مرية فيه، فهو المقدم الحاكم على كل ما تقدمه من الكتب والأقوال.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَأْنِي إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ عُدَاةً﴾ (٢٣)

هذا إرشاد من الله تعالى لرسول الله ﷺ إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يرد ذلك إلى مشيئة الله عز وجل علام الغيوب الذي يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قال سليمان بن داود: «لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، وفي رواية تسعين امرأة، وفي رواية مائة امرأة تلد كل امرأة منهن غلاماً، يقاتل في سبيل الله، فقيل له، وفي رواية قال له الملك: قل إن شاء الله فلم يقل، فطاف بهن فلم يلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان». فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده، لو قال: إن شاء الله لم يحنث، وكان دراكاً لحاجته، وفي رواية «ولقاتلوا في سبيل الله فرساناً أجمعون».

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ (٢٤)

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ إذا نسيت الاستثناء فاستثن عند ذكرك له، أو أن تقول: إن شاء الله ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ أي إذا سئلت عن شيء لا تعلمه فاسأل الله تعالى فيه وتوجه إليه في أن يوفقك للصواب والرشد في ذلك.

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (٢٥)

هذا خبر من الله تعالى لرسوله ﷺ بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم منذ أرقدهم إلى أن

بعثهم الله وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان، وأنه كان مقداره ثلاثمائة سنة تزيد تسع سنين بالهلالية، وهي ثلاثمائة سنة بالشمسية، فإن تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين، فلهذا قال بعد الثلاثمائة: وازدادوا تسعاً.

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (٦٦).

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا﴾ أي إذا سئلت عن لبثهم، وليس عندك علم في ذلك، وتوقيف من الله تعالى فلا تتقدم فيه بشيء، بل قل في مثل هذا ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي لا يعلم ذلك إلا هو، ومن أطلعه عليه من خلقه، وهذا الذي قلناه عليه غير واحد من علماء التفسير، والظاهر من الآية إنما هو إخبار من الله لا حكاية عنهم. ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ أي إنه لبعير بهم، سميع لهم، وذلك في معنى المبالغة في المدح كأنه قيل: ما أبصره وأسمعه، وتأويل الكلام: ما أبصر الله لكل موجود، وأسمعه لكل مسموع، لا يخفى عليه من ذلك شيء، فلا أحد أبصر من الله، ولا أسمع منه ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ أي إنه تعالى هو الذي له الخلق والأمر الذي لا معقب لحكمه، وليس له وزير ولا نصير، ولا شريك ولا مشير. تعالى وتقدس.

﴿وَأْتَلُ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (٦٧).

يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ بتلاوة كتابه العزيز، وإبلاغه إلى الناس ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ أي لا مغير لها، ولا محرف ولا مزيل، وقوله: ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ملجأ، أو ولياً، ولا مولى قال ابن جرير: يقول: إن أنت يا محمد لم تتل ما أوحى إليك من كتاب ربك، فإنه لا ملجأ لك من الله، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: 67).

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نَطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ دِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٦٨).

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ﴾ أي اجلس مع الذين يذكرون الله، ويهللونه ويحمدونه، ويسبحونه ويكبرونه، ويسألونه بكرة وعشياً من عباد الله، سواء كانوا فقراء أم أغنياء، أو أقوياء أو ضعفاء، يقال: إنها نزلت في أشرف قريش حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحده، ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه، كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود، وليفرد أولئك بمجلس على حدة فنهاه الله عن ذلك فقال: ﴿وَلَا تَطْرُقِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ﴾ [الأنعام: 52] وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء فقال: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ﴾ روى الإمام أحمد عن أبي أمامة قال: خرج رسول الله ﷺ على

ي قاص يقص فأمسك، فقال رسول الله ﷺ: «قص فلأن أقعد غدوة إلى أن تشرق الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب». وروى الإمام أحمد عن رسول الله ﷺ قال: «ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله، لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات». وقوله: ﴿وَلَا تَعُدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تَرْيُدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولا تجاوزهم إلى غيرهم، يعني تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة ﴿وَلَا تَطَّعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ أي أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع، ولا تكن مطيعاً له ولا محباً لطريقته، ولا تغبطه بما هو فيه، كما قال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: 131].

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ .  
يقول تعالى لرسوله ﷺ: «قل يا محمد للناس: هذا الذي جئتكم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ هذا من باب التهديد والوعيد الشديد، ولهذا قال: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ أي أرسدنا ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ أي سورها. روى الإمام أحمد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لسرادق النار أربعة جدر، كثافة كل جدار مسافة أربعين سنة». وأخرجه الترمذي في صفة النار. وقوله: ﴿وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ المهل: الماء الغليظ مثل دردي الزيت، أو هو كالدوم والقيح. ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ أي من حره إذا أراد الكافر أن يشربه وقربه من وجهه شواه حتى تسقط جلدة وجهه فيه ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ أي بئس هذا الشراب، كما قال: ﴿رَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [عند: 15] ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ أي وساءت النار منزلاً ومقبلاً ومجتمعاً وموضعاً للارتفاع، كما قال ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: 66].

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ .

لما ذكر تعالى حال الأشقياء ثنى بذكر السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين فيما جاؤوا به، وعملوا بما أمرهم به من الأعمال الصالحة.

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ .  
فلهم جنات عدن، والعدن الإقامة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي من تحت غرفهم ومنازلهم. قال فرعون: ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ [الزخرف: 51] ﴿يُحَلَّوْنَ﴾ أي من الحلية ﴿فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ وقال في المكان الآخر ﴿وَلَوْ لَوُؤُا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: 23] وفضله ههنا فقال: ﴿وَيَلْبَسُونَ

ثِيَابًا خُضْرًا مِّنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴿٣١﴾ فالسندس لباس رفاق رقاق كالقمصان وما جرى مجراها، وأما الإستربق فغليظ الدياج، وفيه بريق. وقوله: ﴿مُشْكِبِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ الاتكاء قيل: الاضطجاع، وقيل: التربع في الجلوس، وهو أشبه بالمراد ههنا، ومنه الحديث الصحيح «أما أنا فلا أكل متكاً» فيه القولان. والأرائك جمع أريكة، وهي السرير تحت الحجلة، وقوله: ﴿نَعِمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ أي نعمت الجنة ثواباً على أعمالهم، وحسنت مرتفقاً أي حسنت منزلاً ومقبلاً ومقاماً.

﴿وَاصْرَبْ لَهُمْ مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾﴾

يقول تعالى بعد ذكره المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم فضرب له ولهم مثلاً برجلين جعل الله لأحدهما جنتين أي بستانين من أعناب محفوفتين بالنخيل المحدقة في جنباتهما، وفي خلالهما الزروع، وكل من الأشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجودة.

﴿كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ مِائَتَ أَكْطَافٍ وَلَمْ نَقْطُرْ مِنْهُنَّ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾﴾  
ولهذا قال: ﴿كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ مِائَتَ أَكْطَافٍ﴾ أي أخرجت ثمرها ﴿وَلَمْ نَقْطُرْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أي ولم تنقص منه شيئاً ﴿وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا﴾ أي والأنهار متفرقة فيما ههنا وههنا.

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾  
﴿وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ﴾ قيل: المراد به المال، وقيل: الثمار، وهو أظهر ههنا ﴿فَقَالَ﴾ أي صاحب هاتين الجنتين ﴿لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ أي يجادله ويخاصمه ويفتخر عليه ويترأس ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ أي أكثر خدماً وحشماً وولداً. قال قتادة: تلك والله أمانة الفاجر: كثرة المال، وعزة النفر.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾  
﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ أي بكفره وتمرده وتكبره وتجبيره وإنكاره المعاد ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ وذلك اعتزاز منه، لما رأى فيها من الزروع والثمار، والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها ظن أنها لا تفرغ ولا تفتنى ولا تهلك ولا تتلف، وذلك لقلعة عقله، وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا، وزينتها، وكفره بالآخرة.

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودَتْ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾  
ولهذا قال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ أي كائنه ﴿وَلَئِنْ رُودَتْ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ أي ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله ليكون لي هناك أحسن من هذا الحظ عند ربي، ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾

[فصلت: 50].

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۗ﴾ (٢٧).

يقول تعالى مخبراً عما أجابه به صاحبه المؤمن واعظاً له وزاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والاعتزاز ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذي خلقه، وابتداء خلق الإنسان من طين، وهو آدم، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين.

﴿لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۗ﴾ (٢٨).

﴿لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ أي لكن أنا لا أقول بمقاتلك، بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ أي بل هو المعبود وحده لا شريك له.

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۗ﴾ (٢٩).

ثم قال: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾ هذا تخصيص وحث على ذلك، أي هلا إذ أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك وقلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله، ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله فليقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله. أخرج الحافظ أبو ليلي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون الموت» وقد ثبت في الصحيحين عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال له: «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله».

﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَنُصِيعَ صَعِيدًا زَلَقًا ۗ﴾ (٣٠).

﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾ أي في الدار الآخرة ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾ أي على جنتك في الدنيا التي ظننت أنها لا تبعد ولا تفتنى ﴿حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي عذاباً من السماء والظاهر أنه مطر عظيم مزعج يقلع زرعها وأشجارها، ولهذا قال: ﴿فَنُصِيعَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ أي بلقاً تراباً أملس لا يثبت فيه قدم، قال ابن عباس: كالجرز الذي لا ينبت شيئاً.

﴿أَوْ يُصِيعَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَن نَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۗ﴾ (٣١).

﴿أَوْ يُصِيعَ مَأْوَاهَا غَوْرًا﴾ أي غائراً في الأرض، وهو ضد النابح الذي يطلب وجه الأرض، فالغائر يطلب أسفلها كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَبَ مَأْوَدٌ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ (٣٢) [المك: 30] أي جارٍ وسائح.

﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ فَأَصْبَحَ يَقُولُ كَفَيْتِهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا بَلِينِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ .

يقول: ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ﴾ بأمواله، أو بشماره على القول الآخر، والمقصود أنه وقع بهذا الكافر ما كان يحذر مما خوفه به المؤمن من إرسال الحسابان على جنته التي اغتر بها وألهته عن الله عز وجل ﴿فَأَصْبَحَ يَقُولُ كَفَيْتِهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ قال قتادة: يصفق كفيه متأسفاً متلهفاً على الأموال التي أذهبها عليها ﴿ويَقُولُ يَا بَلِينِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ .

﴿وَلَمْ تَكُنْ لَكُمْ فِتْنَةٌ بَصُرْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ .  
﴿وَلَمْ تَكُنْ لَكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي عشيرة أو ولد كما افتخر بهم واستعز ﴿بَصُرْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا﴾ .

﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ .  
﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ أي هنالك الموالاة لله، أي هنالك كل أحد مؤمن أو كافر يرجع إلى الله، وإلى موالاته والخضوع له إذا وقع العذاب، كقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر: 84] ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ أي جزاء ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي الأعمال التي تكون لله عز وجل ثوابها وعاقبتها حميدة رشيدة كلها خير .

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا ﴿٤٥﴾﴾ .  
يقول تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ﴾ يا محمد للناس ﴿مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في زوالها وانقضائها ﴿كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ أي ما فيها فشب وحسن وعلاه الزهر والنور والنضرة، ثم بعد هذا كله ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ يابساً ﴿تَذَرُوهُ الرِّيحُ﴾ أي تفرقه وتطرحة ذات اليمين وذات الشمال ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا﴾ أي هو قادر على هذه الحال، وهذه الحال، وكثيراً ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل كقوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾ [يونس: 24] .

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ .  
﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ كقوله: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْمَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَبْلِ الْمَسُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرِيِّ﴾ [آل عمران: 14] ولهذا قال ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ الباقيات الصالحات: الصلوات الخمس، أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أو هي الأعمال الصالحة أو هي الكلام الطيب .

﴿وَيَوْمَ نُسِِرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ .

يخبر تعالى عن أهوال يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظام كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٤٦﴾ وَنُحِشِرُ الْجِبَالَ سِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الطور: 9، 10] أي تذهب من أماكنها وتزول كما قال تعالى ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ تَمْرٌ مَرٌّ السَّحَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [النمل: 88] ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴿٤٩﴾﴾ أي بادية ظاهرة ليس فيها معلم لأحد، ولا مكان يوارى أحداً، بل الخلق كلهم ضاحون لربهم، لا تخفى عليه منهم خافية. ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ أي وجعناهم: الأولين منهم والآخريين، فلم نترك منهم أحداً صغيراً ولا كبيراً، كما قال: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِقْدَاتٍ يَوْمَ مَأْتُهُمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: 49، 50].

﴿وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ .

﴿وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا﴾ يحتمل أن يكون المراد أن جميع الخلائق يقومون بين يدي الله صفًا واحداً كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَاللَّيْكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٤٨﴾﴾ [النبأ: 38] ويحتمل أنهم يقومون صفوفاً صفوفاً كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٤٩﴾﴾ [الفجر: 22]. وقوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ هذا تقريع للمنكرين للمعاد، وتوبيخ لهم على رؤوس الأشهاد، ولهذا قال تعالى مخاطباً لهم ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٩﴾﴾ أي ما كان ظنكم أن هذا واقع بكم، ولا أن هذا كائن.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا

يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ .

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ أي كتاب الأعمال الذي فيه الجليل والحقير، والفتيل والقطمير، والصغير والكبير ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ أي من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾ أي يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا في أعمارنا ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ أي لا يترك ذنباً صغيراً، ولا كبيراً، ولا عملاً، وإن صغر ﴿إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ أي ضبطها وحفظها. روى الطبراني عن سعد بن جنادة قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة حنين نزلنا قفراً من الأرض ليس فيه شيء، فقال النبي ﷺ: «اجمعوا، من وجد عوداً فليأت به، ومن وجد حطباً فليأت به، أو شيئاً فليأت به» قال: فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركاماً، فقال النبي ﷺ: «أترون هذا؟ فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا، فليترك الله رجل، ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة، فإنها محصاة عليه». وقوله: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ أي من خير وشر، كقوله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسًا ﴿٥٠﴾﴾ [آل عمران: 30] وقوله: ﴿وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ أي فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعاً، ولا يظلم أحداً من خلقه، بل يغفر ويصلح ويغفر ويرحم ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَلَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥١﴾﴾ .

يقول تعالى منبهاً بني آدم على عداوة إبليس لهم ولأبيهم من قبلهم، ومقرعاً لمن اتبعه منهم، وخالف خالقه ومولاه، وهو الذي أنشأه وابتدأه، وبإلطافه رزقه وغذاه، ثم بعد هذا كله والى إبليس، وعادى الله فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ أي لجميع الملائكة ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ أي سجدوا تشریف وتكريم وتعظيم. وقوله: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ أي خانه أصله، فإنه خلق من مارج من نار، وأصل خلق الملائكة من نور كما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خلقت الملائكة من نور، وخلق إبليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم» فعند الحاجة نضح كل وعاء بما فيه، وخانه الطبع عند الحاجة، وذلك أنه كان قد توسم بأفعال الملائكة وتشبه بهم، وتعد وتنسك، فلهذا دخل في خطابهم وعصى بالمخالفة. ونبه تعالى ههنا على أنه من الجن، أي على أنه خلق من نار ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أي فخرج عن طاعة الله، فإن الفسق هو الخروج، يقال: فسقت الرطبة إذا خرجت من أكمامها، وفسقت الفأرة من حجرها إذا خرجت منه للعبث والفساد. ثم قال تعالى مقرعاً وموبخاً لمن اتبعه وأطاعه ﴿أَفَلَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ أي بدلاً عني، ولهذا قال: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ .

﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ .

يقول تعالى: هؤلاء الذين اتخذتموهم أولياء من دوني عبيد أمثالكم لا يملكون شيئاً، ولا أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا كانوا إذ ذاك موجودين، يقول تعالى: أنا المستقل بخلق الأشياء كلها ومدبرها ومقدرها وحدي، ليس معي في ذلك شريك ولا وزير ولا مشير ولا نظير كما قال: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿١١﴾﴾ [سبا: 22] ولهذا قال: ﴿وَمَا كُنْتُمْ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ أعواناً.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾ .

يقول تعالى مخبراً عما يخاطب به المشركين يوم القيامة على رؤوس الأشهاد تقرعاً لهم وتوبيخاً: ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي في دار الدنيا، ادعوه اليوم ينقدونكم مما أنتم فيه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأنعام: 94] وقوله: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ كما قال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾ كلاً سيكفرون



ليضعفوا به الحق الذي جاءتهم به الرسل، وليس ذلك بحاصل لهم ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ أي اتخذوا الحجج والبراهين وخوارق العادات التي بعث بها الرسل، وما أنذروهم وخوفوهم به من العذاب ﴿هُزُوًا﴾ أي سخروا منهم في ذلك، وهو أشد التكذيب.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾.

يقول تعالى: وأي عباد الله أظلم ممن ذكر آيات الله ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ أي تناساها، وأعرض عنها، ولم يصغ لها، ولا ألقى إليها بالاً ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي من الأعمال السيئة والأفعال القبيحة ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي قلوب هؤلاء ﴿أَكِنَّةً﴾ أي غشاة وغطاءة ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ أي لئلا يفهموا هذا القرآن والبيان ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ أي صمماً معنوياً عن الرشاد ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾.

﴿وَرَبِّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾﴾.

﴿وَرَبِّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ أي ربك يا محمد غفور ذو رحمة واسعة ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابَ﴾ كما قال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِيهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فاطر: 45] ثم أخبر تعالى أنه عليم ويستر ويغفر، وربما هدى بعضهم من الغي إلى الرشاد ومن استمر منهم فله يوم يشيب فيه الوليد، وتضع كل ذات حمل حملها، ولهذا قال: ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا﴾ أي ليس لهم عنه محيص ولا محيد ولا معدل.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ أي الأمم السالفة والقرون الخالية أهلكتناهم بسبب كفرهم وعنادهم ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ أي جعلناه إلى مدة معلومة، ووقت معين لا يزيد ولا ينقص، أي وكذلك أنتم أيها المشركون، احذروا أن يصيبكم ما أصابهم، فقد كذبتهم أشرف رسول، وأعظم نبي، ولستم بأعز علينا منهم فخافوا عذابي ونذر.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾.

سبب قول موسى لفتاه، وهو يوشع بن نون هذا الكلام أنه ذكر له أن عبداً من عباد الله بمجمع البحرين عنده من العلم ما لم يحط به موسى فأحب الرحيل إليه، وقال لفتاه: ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ أي لا أزال سائراً ﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أي هذا المكان الذي فيه مجمع البحرين. قال قتادة وغيره: هما بحر فارس مما يلي المشرق، وبحر الروم مما يلي المغرب. وقال محمد بن كعب

القرظي : مجمع البحرين عند طنجة في أقصى بلاد المغرب ، فالله أعلم . وقوله : ﴿ أَوْ أَمْضَى حُقُبًا ﴾ أي ولو أني أسير حقباً من الزمن ، أي دهرأ .

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ﴾ .

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ وذلك أنه كان قد أمر بحمل حوت مملوح معه ، وقيل له : متى فقدت الحوت فهو ثمة ، فسارا حتى بلغا مجمع البحرين ، وهناك عين يقال لها : عين الحياة ، فناما هنالك وأصاب الحوت من رشاش ذلك الماء فاضطرب ، وكان في المكتل مع يوشع عليه السلام ، وطفر من المكتل إلى البحر فاستيقظ يوشع عليه السلام وسقط الحوت في البحر فظل يسير في الماء ، والماء له مثل الطاق لا يلتئم بعده ، ولهذا قال : ﴿ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ أي مثل السرب في الأرض ، قال ابن عباس : جعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة .

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾ .

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا ﴾ أي المكان الذي نسيا الحوت فيه ، ونسب النسيان إليهما ، وإن كان يوشع هو الذي نسيه كقوله : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الرحمن : 22] وإنما يخرج من المالح . فلما ذهبا عن المكان الذي نسياه فيه بمرحلة ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا ﴾ أي الذي جاوزا فيه المكان ﴿ نَصَبًا ﴾ يعني تعباً .

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ

سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ .

﴿ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ ﴾ أي طريقه ﴿ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ .

﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّ عَلَيَّ ءَانَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾ .

﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ ﴾ أي هذا هو الذي نطلب ﴿ فَارْتَدَّ ﴾ أي رجعا ﴿ عَلَيَّ ءَانَارِهِمَا ﴾ أي طريقهما ﴿ قَصَصًا ﴾ أي يقصان آثار مشيهما ، ويقفوان أثرهما .

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَأْتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ .

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ وهذا هو الخضر عليه السلام كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي البخاري عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : إن نوحاً البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر عليه السلام ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل ، قال ابن عباس : كذب عدو الله ، حدثنا أبي بن كعب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل : أي الناس أعلم ؟ قال : أنا ، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله إليه ، إن

لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب، وكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله بمكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثمّ، فأخذ حوتاً فجعله بمكتل، ثم انطلق، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون عليه السلام حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل، فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سرباً وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليتهدما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: ﴿إِنَّا غَدَاءًا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: 62] ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به، قال له فتاه ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ . . .﴾ [الكهف: 63] قال فكان للحوت سرباً، ولموسى وفتاه عجباً فقال: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَاذْتَدْنَا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: 64] قال فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى، فقال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم الخ ما جاء في حديث البخاري.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَ مِنِّي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ (٦٦).

يخبر تعالى عن قيل موسى عليه السلام لذلك الرجل العالم وهو الخضر الذي خصه الله بعلم لم يطلع عليه موسى عليه السلام كما أنه أعطى موسى من العلم ما لم يعطه الخضر ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ سؤال تلتطف، لا على وجه الإلزام والإجبار، وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلم من العالم. وقوله: ﴿أَتَيْتَكَ﴾ أي أصحبك وأرافقتك ﴿عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَ مِنِّي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ أي مما علمك الله شيئاً أسترشد به في أمري من علم نافع وعمل صالح.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٦٧).

﴿قَالَ﴾ الخضر لموسى ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ أي إنك لا تقدر على مصاحبتي لما ترى مني من الأفعال التي تخالف شريعتك لأنني على علم من علم الله ما علمك الله، وأنت على علم من علم الله ما علمنيه الله.

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ (٦٨).

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ فأننا أعرف أنك ستنكر عليّ ما أنت معذور فيه، ولكن ما اطلعت على حكمته ومصالحته الباطنة التي اطلعت أنا عليها دونك.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (٦٩).

﴿قَالَ﴾ أي موسى ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ أي على ما أرى من أمورك ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ أي ولا أخالفك في شيء، فعند ذلك شارطه الخضر عليه السلام.

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَأْذِنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَحَدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (٧١).

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَأْذِنِي عَنْ شَيْءٍ﴾ أي ابتداء ﴿حَتَّىٰ أَحَدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي حتى أبدأك به قبل أن تسألني .

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقَهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ (٧١).

يقول تعالى مخبراً عن موسى وصاحبه، وهو الخضر: إنهما انطلقا لما توافقا واصطجبا، واشترط عليه أن لا يسأله عن شيء أنكره حتى يكون هو الذي يبتدئه من تلقاء نفسه بشرحه وبيانه فركبا في السفينة، وقد جاء في حديث البخاري كيف ركبا في السفينة، وأنهم عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول، يعني بغير أجرة تكرمه للخضر، فلما استقلت بهم السفينة في البحر، ولجت أي دخلت اللجة قام الخضر فخرقها واستخرج لوحاً من ألواحها، ثم رقعها، فلم يملك موسى ﷺ نفسه أن قال منكرأ عليه: ﴿أَخْرَقَهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ وهذه لام العاقبة، لا لام التعليل ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ منكرأ، أو عجباً.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٧٢).

فَعندها قال له الخضر مذكراً بما تقدم من الشرط ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ يعني، وهذا الصنيع فعلته قصداً وهو من الأمور التي اشترطت معك أن لا تنكر علي فيها لأنك لم تحط بها خبيراً، ولها مصلحة لم تعلمها أنت .

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ (٧٢).

﴿قَالَ﴾ أي موسى ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ أي لا تضيق علي ولا تشدد علي، ولهذا تقدم في حديث البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كانت الأولى من موسى نسياناً» .

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ (٧٣).

يقول تعالى: ﴿فَانطَلَقَا﴾ أي بعد ذلك ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ وقد كان يلعب مع الغلمان في قرية من القرى اسمه حيثور، وأنه عمد إليه من بينهم، وكان أحسنهم وأجلهم وأضوأهم فقتله، وروي أنه احتز رأسه، وقيل: رضخه بحجر، وفي رواية اقتلعه بيده، والله أعلم. فلما شاهد موسى ﷺ هذا أنكره أشد من الأول، وبادر فقال: ﴿أَقْتَلْتَنِي زَكِيَّةً﴾ أي صغيرة لم تعمل الخبث، ولا عملت إثمأ بعد فقتلته ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي بغير مستند لقتله ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ أي ظاهر النكارة.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٧٤).

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٧٤) فأكد أيضاً التذكار بالشرط الأول، فلهذا:

﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْتَنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ (٧٦).

قال له موسى: ﴿إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أي إن اعترضت عليك بشيء بعد هذه المرة ﴿فَلَا تُصَحِّحْتَنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ أي قد أعذرت إلي مرة بعد مرة. روى ابن جرير قال كان النبي ﷺ إذا ذكر أحداً فدعا له بدأ بنفسه فقال ذات يوم: «رحمة الله علينا وعلى موسى، لو لبث مع صاحبه لأبصر العجب، ولكنه قال: ﴿إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْتَنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾».

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأَ أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (٧٧).

يقول تعالى مخبراً عنهما إنهما ﴿فَانْطَلَقَا﴾ بعد المرتين الأولين ﴿حَتَّىٰ إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي الأيلة، وفي الحديث «حتى إذا أتيا أهل قرية لثاماً» أي بخلاء ﴿فَأَبْوَأَ أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ إسناد الإرادة إلى الجدار على سبيل الاستعارة، فإن الإرادة في المحدثات بمعنى الميل، والانتقاض هو السقوط. وقوله ﴿فَأَقَامَهُ﴾ أي فرده إلى حالة الاستقامة. وفي حديث البخاري أنه رده بيديه، ودعّمه حتى رد ميله وهذا خارق، قال له موسى: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي لأجل أنهم لم يضيفونا، كان ينبغي أن لا تعمل لهم مجاناً.

﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٧٨).

﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ أي لأنك شرطت عند قتل الغلام أنك إن سألتني عن شيء بعدها فلا تصاحبني فهو فراق بيني وبينك ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ أي بتفسير ﴿مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أُعْيِبَهَا وَكَانَ رِوَاهُ هُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (٧٩).

هذا تفسير ما أشكل أمره على موسى ﷺ، وما كان أنكر ظاهره، وقد أظهر الله الخضر ﷺ على حكمة باطنة، فقال: إن السفينة إنما خرقتها لأعيبها لأنهم كانوا يمرون بها على ملك من الظلمة ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة، أي جيدة ﴿غَصْبًا﴾ فأردت أن أعيبها فأرده عنها لعيبها فينتفع بها أصحابها المساكين الذين لم يكن لهم شيء ينتفعون به غيرها، وقد قيل: إنهم أيتام.

﴿وَأَمَّا الْجَلْدُ فَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (٨٠).

في الحديث عن النبي ﷺ قال: «الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً» رواه ابن جرير. ولهذا قال: ﴿فَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ أي يحملهما حبه على متابعتة على الكفر. قال قتادة: قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي لكان فيه هلاكهما،

فليرض امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب. وصح في الحديث: «لا يقضي الله لمؤمن قضاء إلا كان خيراً له» وقال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 216].

﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ (٨١).

أي ولدأ أزكى من هذا، وهما أرحم به منه.

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٨٢).

في هذه الآية دليل على إطلاق القرية على المدينة، لأنه قال أولاً: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَنَّىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ [الكهف: 77] وقال ههنا: ﴿فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ ومعنى الآية أن هذا الجدار إنما أصلحته لأنه كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما، أي كان تحته مال مدفون لهما. وقوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشماعته فيهم، ورفع درجاتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم. وكان الأب السابع. وقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ ههنا أسند الإرادة إلى الله تعالى لأن بلوغهما الحلم لا يقدر عليه إلا الله وقال في الغلام ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً﴾ وقال في السفينة ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ فالله أعلم. وقوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي﴾ أي هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة، والوالدي الغلام، والوالدي الرجل الصالح، وما فعلته عن أمري لكني أمرت به ووقفت عليه. وقد ذهب كثيرون إلى أن الخضر كان ولياً ولم يكن نبياً. وقوله: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ أي هذا تفسير ما ضقت به ذرعاً، ولم تصبر حتى أخبرك به ابتداءً، ولما أن فسره له وبينه ووضحه وأزال المشكل قال: ﴿تَسْطِعُ﴾ وقبل ذلك كان الإشكال قوياً ثقیلاً فقال ﴿تَسْطِعُ﴾ [الكهف: 78] فقابل الأثقل بالأثقل، والأخف بالأخف كما قال ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: 97] وهو الصعود إلى أعلاه ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَبَأًا﴾ [الكهف: 97] وهو أشتق من ذلك فقابل كلا بما يناسبه لفظاً ومعنى.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ (٨٣).

يقول تعالى لنبية ﷺ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ أي عن خبره. وقد بعث كفار مكة إلى أهل الكتاب يسألون منهم ما يمتحنون به النبي ﷺ فقالوا: سلوه عن رجل طواف في الأرض، وعن فتية ما يدري ما صنعوا، وعن الروح فنزلت سورة الكهف.

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَءَايَيْنَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ (٨٤).

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي أعطيناه ملكاً عظيماً ممكناً فيه من جميع ما يؤتي الملوك من التمكين والجنود وآلات الحرب والحصارات ولهذا ملك المشارق والمغرب من الأرض، ودانت له البلاد، وخضعت له ملوك البلاد، وخدمته الأمم من العرب والعجم، ولهذا ذكر بعضهم أنه إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرني الشمس: مشرقها ومغربها. ﴿ وَءَايَيْنَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ يعني علماً، أو منازل الأرض وأعلامها.

﴿ فَأَنْبَغُ سَبَبًا ﴾ (٨٥).

﴿ فَأَنْبَغُ سَبَبًا ﴾ يعني بالسبب المنزل، أو منزلاً وطريقاً ما بين المشرق والمغرب، أو طرفي الأرض.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَقْرَبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا الْقَارِئِينَ إِنَّمَا أَنْ

تُعَذِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ (٨٦).

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَقْرَبَ الشَّمْسِ ﴾ أي فسلك طريقاً حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب، وهو مغرب الأرض ﴿ وَوَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ أي رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله يراها كأنها تغرب فيه. والحماة الطين الأسود. ﴿ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا ﴾ أي أمة من الأمم. ﴿ قُلْنَا يَا الْقَارِئِينَ إِنَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ ﴾ معنى هذا أن الله مكنه منهم وحكمه فيهم وأظفره بهم وخيَّره إن شاء قتل وسبى، وإن شاء منَّ أو فدى فعرف عدله وإيمانه فيما أبداه عدله وبيانه.

﴿ قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا ﴾ (٨٧).

﴿ قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ ﴾ أي استمر على كفره وشركه بربه ﴿ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ﴾ بالقتل ﴿ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا ﴾ أي شديداً بليغاً وجيعاً أليماً، وفي هذا إثبات المعاد والجزاء.

﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ (٨٨).

﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ ﴾ أي تابعتنا على ما ندعوه إليه من عبادة الله وحده لا شريك له ﴿ فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ أي في الدار الآخرة عند الله عز وجل ﴿ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ معروفاً.

﴿ ثُمَّ أَنْبَغُ سَبَبًا ﴾ (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا

سِتْرًا ﴾ (٩٠).

يقول تعالى: ثم سلك طريقاً فسار من مغرب الشمس إلى مطلعها، وكان كلما مر بأمة غلبهم وقهرهم، ودعاهم إلى الله عز وجل فإن أطاعوه وإلا أذلهم، وأرغم آناهم، واستباح أموالهم،

وأمتعتهم، واستخدم من كل أمة ما تستعين به جيوشه على قتال الإقليم المتاخم لهم. ولما انتهى إلى مطلع الشمس من الأرض ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ﴾ أي أمة ﴿لَوْ جَعَلَ لَهْمُ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ أي ليس لهم بناء يكنهم، ولا أشجار تظلمهم، وتسترهم من حر الشمس، وقيل: هم الزنج.

﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ (٩١).

﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ (٩١) أي علماء، أي نحن مطلعون على جميع أحواله، وأحوال جيشه، لا يخفى علينا منها شيء، وإن تفرقت أممهم، وتقطعت بهم الأرض، فإنه تعالى: ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْنَا شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: 5].

﴿ثُمَّ أَنْبَعُ سَبِيًّا﴾ (٩٢).

﴿ثُمَّ أَنْبَعُ سَبِيًّا﴾ (٩٢) أي سلك طريقاً من مشارق الأرض.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ (٩٣).

حتى بلغ بين السدين، وهما جبلان متناوحيان، بينهما ثغرة، يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك، فيعيشون فيها فساداً، ويهلكون الحرث والنسل، ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيحين: «إن الله تعالى يقول: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: ابعث بعث النار، فيقول: وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة فحينئذ يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، فقال: إن فيكم أمتين، ما كانتا في شيء إلا كثرتا: يأجوج ومأجوج، وقوله: ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي لاستعجاب كلامهم، وبعدهم عن الناس.

﴿قَالُوا يَنْذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْمًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ﴾ (٩٤).

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْمًا﴾ أجزاً عظيماً، يعني أنهم أرادوا أن يجمعوا له من بينهم ما لا يعطونه إياه حتى يجعل بينه وبينهم سداً.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ (٩٥).

﴿قَالَ﴾ ذو القرنين بعبق وديانة وصلاح وقصد للخير ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي أن الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه، كما قال سليمان بن داود ﴿أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانَنِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَانَكُم﴾ [النمل: 36] وهكذا قال ذو القرنين: الذي أنا فيه خير من الذي تبدلونه، ولكن ساعدوني بقوة أي بعملكم وآلات البناء ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾.

﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ

قَطْرًا ﴿٩٦﴾﴾ .

﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ والزبر جمع زبرة، وهي القطعة منه، وهي كاللبنة. ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ أي وضع بعضه على بعض من الأساس حتى إذا حاذى به رؤوس الجبلين طولاً وعرضاً ﴿قَالَ أَنفُخُوا﴾ أي أوجع عليه النار، حتى صار كله ناراً ﴿قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ هو النحاس، زاد بعضهم المذاب، ويستشهد بقوله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ .

﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن يأجوج ومأجوج أنهم ما قدروا على أن يصعدوا من فوق هذا السد، ولا قدروا على نقبه من أسفله، ولما كان الظهور عليه أسهل من نقبه قابل كلاً بما يناسبه فقال: ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ وفي الحديث: «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا» وعقد التسعين. أخرجه البخاري ومسلم.

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ .

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ أي لما بناه ذو القرنين قال هذا رحمة بالناس حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلاً يمنعهم من العبث في الأرض والفساد ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ أي اقترب الوعد الحق ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ أي مساوياً للأرض. ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ أي كائناً لا محالة.

﴿وَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجًا فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَهُمْ جَمَاعًا ﴿٩٩﴾﴾ .

﴿وَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾ أي الناس يومئذ، أي يوم يدك هذا السد، ويخرج هؤلاء فيموجون في الناس، ويفسدون على الناس أموالهم، ويتلفون أشياءهم، وذلك كله قبل يوم القيامة، وبعد الدجال. ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ على أثر ذلك. والصور كما جاء في الحديث قرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام. وفي الحديث: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته، واستمع متى يؤمر؟» قالوا: كيف نقول؟ قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا». قوله: ﴿فَجَمَعْنَهُمْ جَمَاعًا﴾ أي أحضرنا الجميع للحساب ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٩٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: 49، 50] ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 47].

﴿وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا ﴿١٠٠﴾﴾ .

يقول تعالى مخبراً عما يفعله بالكفار يوم القيامة: إنه يعرض عليهم جهنم أي يبرزها لهم، ويظهرها ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهم والحزن لهم. وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك» .

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ (١١٤).

ثم قال مخبراً عنهم: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾ أي تغافلوا وتعاموا وتصامموا عن قبول الهدى واتباع الحق كما قال: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُمُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٢١٦) [الزخرف: 36] وقال ههنا: ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي لا يعقلون عن الله أمره ونهيه.

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَنخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَآءَ إِنَّا أَعَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ (١١٥).

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَنخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَآءَ﴾ أي اعتقدوا أنهم يصح لهم ذلك، ويتشفعون به ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (١١٦) [مريم: 82].

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١١٧).

في البخاري عن مصعب قال: سألت أبي يعني سعد بن أبي وقاص عن قول الله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١١٧) أهم الحرورية؟ قال: هم اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا محمداً ﷺ، وأما النصارى فكفروا بالجنة، وقالوا: لا طعام ولا شراب، والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، فكان سعد يسميهم الفاسقين. ﴿نُنَبِّئُكُم﴾ أي نخبركم ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾؟.

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (١١٨).

ثم فسره فقال: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي عملوا أعمالاً باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة. ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ أي يعتقدون أنهم على شيء، وأنهم مقبولون محبوبون.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ (١١٩).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ أي جحدوا آيات الله في الدنيا وبراهينه التي أقامها على وحدانيته وصدق رسله وكذبوا بالدار الآخرة ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ أي لا تثقل موازينهم لأنها خالية من كل خير. في البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة».

﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَتَلَّحُّوا بِآيَاتِي وَرُسُلِي هُزُورًا﴾ (١٢٠).

﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ أي إنما جازيناهم بهذا الجزاء بسبب كفرهم، واتخاذهم آيات الله ورسله هزواً، استهزؤوا بهم وكذبوهم أشد التكذيب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (١٢١).

يخبر تعالى عن عباده السعداء، وهم الذين آمنوا بالله ورسله، وصدقوا المرسلين فيما جاؤوا به أن لهم جنات الفردوس والفردوس هو البستان الذي فيه شجر الأعناب. قال قتادة: الفردوس ربوة

الجنة، وأوسطها، وأفضلها. وقد روي هذا مرفوعاً عن النبي ﷺ: «الفرديوس ربوة الجنة، وأوسطها وأحسنها». وفي الصحيحين: «إذا سألتهم الله الجنة فاسألوه الفرديوس فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة، ومنه تَفَجَّرُ أنهار الجنة»: ﴿تَزُلَّ﴾ أي ضيافة، فإن النزل الضيافة.

﴿خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَبْعَثُونَ عَنْهَا حَوْلًا﴾ ﴿١١٨﴾ .

﴿خَلِيدِينَ فِيهَا﴾ أي مقيمين فيها ساكنين فيها لا يظعنون عنها أبداً ﴿لَا يَبْعَثُونَ عَنْهَا حَوْلًا﴾ أي لا يختارون عنها غيرها، ولا يحبون سواها.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ ﴿١١٩﴾ .

يقول تعالى: قل: يا محمد، لو كان البحر مداداً للقلم الذي يكتب كلمات الله وحكمه وآياته الدالة عليه لنفد البحر قبل أن يفرغ من كتابة ذلك ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ أي بمثل البحر آخر ثم آخر وهلم جراً بحور تمدده ويكتب بها لما نفذت كلمات الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: 27] يقول: لو كانت تلك البحور مداداً لكلمات الله، والشجر كله أقلام لانكسرت الأقلام وفني ماء البحر، وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شيء، لأن أحداً لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يشي عليه كما ينبغي حتى يكون هو الذي يشي على نفسه.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١٢٠﴾ .

﴿قُلْ﴾ لهؤلاء المشركين المكذبين برسالتك إليهم ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ فمن زعم أنني كاذب فليأت بمثل ما جئت به، فإني لا أعلم الغيب فيما أخبرتكم به من الماضي بما سألتهم من قصة أصحاب الكهف، وخبر ذي القرنين مما هو مطابق في نفس الأمر، لولا ما أطلعني الله عليه، وإنما أخبركم ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمُ﴾ الذي أدعوكم إلى عبادته ﴿إِلَهُ وَحِيدٌ﴾ لا شريك له ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ أي ثوابه وجزاءه الصالح ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ هو ما كان موافقاً لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصاً لله، صواباً على شريعة رسول الله ﷺ.